بيروت، في ٢٠ أيلول (سبتمبر) ٢٠٢٤

رسالة رئيس الجامعة بمناسبة بداية السنة الـ ١٥٠ لتأسيس الجامعة

فلنواصل صنع تاريخنا معًا...

إنّها هَهنا، السنة المئة والخمسون على تأسيس جامعتنا، جامعة القدّيس يوسف في بيروت. **إنّنا نستقبلها مزوَّدين بحماسة الإيمان برسالتها وبتصميم على أن نكون في خدمة تاريخها في الحاضر وفي المستقبل.** أودّ أن أتمنّى لكنّ ولكم جميعًا، شركاء الرسالة، الطلّاب أجمعين، والمعلّمين، والموظّفين الإداريّين واللوجستيّين، وأكثر الخرّيجين قِدَمًا وشبابًا، سنة تتّسم بطابع الرجاء الذي يفتح على تجديد العقول والقلوب على نجاح كلّ واحد (ة) منكم (نّ) وتحقيق الوعود بلبنان أكثر نشاطًا وصحّة ووحدة. لطالما كان هذا الرجاء جزءًا لا يتجزّأ من رؤية المؤسّسين، فهو يذكّرنا بأنّنا لا يجب أن نعيش فقط في الذكريات التي تكون أحيانًا سعيدة وأحيانًا تعيسة، ولكن يجب علينا دائمًا أن نؤمن بقوّة الكلمة والحياة كوعدٍ ومستقبل، على الرغم من تهديدات الحرب واستمرار الأزمات. في سياق هذه العودة إلى ذاكرتنا الحيّة، أودّ أن أتحدّث إليكم عن بعض وجهات النظر التي تُضفي نكهة خاصّة على هذه السنة المميّزة من وجودنا كجامعة، هنا بالذات في لبنان والشرق الأوسط.

١. من الرؤى التي ترافق **تاريخ الجامعة هي أن تكون في خدمة النهوض بالدولة اللبنانيّة**، وإداراتها العامّة ومؤسّساتها الدستوريّة بحيث تكون بدورها في خدمة شعبها وخاصة شبابها. نحن ندرك العجز السياسيّ والاجتماعيّ الذي يهدّد وجود الدولة. ولهذا السبب فإنّ مهمّة المواطنة في جامعة القدّيس يوسف ليست مسألة تكميليّة. بل هي قيمة مضافة لها لأنّها أسبغت وما زالت تسبغ معنى لوجودها. وهي تسعى، من خلال المجال الأكاديميّ، ومن خلال التعبير الحرّ والعلميّ، ومن خلال التأثير الاجتماعيّ، إلى المشاركة في عمل إنقاذ وطننا، وتولّي مهمة الحفاظ على معنى وجودنا الفاعل على هذه الأرض. إنّ الاحتفال بمرور ١٥٠ عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت يستدعينا لكي نستمرّ في الحصول على مكاننا في لبنان الغد، فلا يمكننا أن نكون مراقبين، بل فاعلين في الخلاص. لا يوجد نقص في المبادرات (كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة FDSP، ومعهد العلوم السياسيّة ISP، وكليّة العلوم الدينيّة FSR، وأكاديميّة المواطنة وغيرها الكثير). وسيكون مركز فيليب سالم للدراسات السياسيّة بمثابة رافعة جيّدة لتسريع تنفيذ رؤية إصلاح لبنان الغد.

٢. علاوة على ذلك، **اتّخذ التضامن وما زال يأخذ منظورًا جديدًا في رؤية جامعة القدّيس يوسف للبنان اليوم وغدًا**. يصحّ القول أنّنا نخصّص من الآن وصاعدًا أكثر من ٢٥٪ من ميزانيّتنا السنويّة لمساعدة الأسَر والطلّاب الذين يحتاجون إلى الدعم من أجل إكمال دراستهم، وهو ما يشكّل تضحية كبيرة يقوم بها مجتمعنا. بالإضافة إلى المساعدات، فإنّ مهمّتنا تكمن في مساعدة الطبقة الوسطى اللبنانيّة، المثقّفة، والمستنيرة، والكفوءة، التي شاركت الجامعة في تشكيلها لأكثر من قرن ونصف، وعلى استعادة صحّتها واستئناف مكانتها في قلب لبنان الغد. ثمّة حقيقة رئيسيّة أخرى بالنسبة إلى جامعة القدّيس يوسف في بيروت، اليوم وغدًا، ألا وهي توسيع انتشارها الأكاديميّ (دبي وساحل العاج) بالإضافة إلى شبكة مستشفياتها، بدعمٍ كبير من مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس (HDF). وبالتالي، تتحمّل جامعة القدّيس يوسف مسؤوليّتها، ولو كانت مسؤوليّة رمزيّة، في دعم المؤسّسات الاستشفائيّة بغية الاستمرار في خضمّ الأزمة الصعبة التي تتخبّط فيها، وفي الوقت نفسه، تعزيز خدمات الرعاية الجيّدة التي تقدّمها.

٣. وكذلك الأمر، ومع الأخذ في الاعتبار وجهة نظر ثالثة، وبينما تحتفل بالذكرى المائة والخمسين لتأسيسها، **تجد جامعة القدّيس يوسف في بيروت نفسها من الآن وصاعدًا على أبواب المستقبل وهو، كما نعلم، سيكون مختلفًا تمامًا،** وستكون جاهزة للمرحلة التالية من تطوّرها في عالمٍ يشهد تحوّلًا رقميًّا ذا تعقيد هائل وسرعة تغيير مبهرة. الأُسس موجودة من الناحية الأكاديميّة والمؤسّساتيّة والرغبة موجودة في المضيّ قُدُمًا في التحوّل الرقميّ في ما يتعلّق بالإدارة الداخليّة في جامعة القدّيس يوسف وفي تدريس التقنيّات المتطوّرة؛ وكذلك الأمر، فإنّ تطوير برامج الذكاء الاصطناعيّ المدمجة على المستوى الأكاديميّ وعلوم البيانات أصبح واقعًا عمليًّا. وبينما تخطو خطواتها الأولى نحو المئتَي عام، تواجه جامعة القدّيس يوسف في بيروت قضايا مهمّة في هذا المجال لا يمكننا النظر إليها بطريقة هامشيّة.

٤. ودائمًا، انطلاقًا من وجهات النظر هذه، نحن **نعلم، بحسب شهادة خرّيجينا وطلّابنا، أنّ التنشئة في جامعة القدّيس يوسف في بيروت وشهادتها تبقيان من أفضل الخيارات المتاحة لشبابنا اللبنانيّ،** ونحن فخورون بذلك. إنّ سياستنا المتمثّلة في تشجيع اعتماد المؤسّسات والجامعة نفسها قد أثمرت إلى حدّ كبير. ويشير الاعتمادان الأخيران، اعتماد كليّات إدارة الأعمال AACSB الذي أعطِي إلى كليّة إدارة الأعمال في جامعة القدّيس يوسف، واعتماد برامج التعليم الطبّي Teptad لكليّة الطبّ، بالإضافة إلى تجديد الاعتماد الأميركي للهندسة والتكنولوجيا ABET للمعهد العالي للهندسة في بيروت، هذه الاعتمادات تشير إلى أنّ التميّز موجود. إنّ الحصول على تجديد الاعتماد المؤسّسيّ من الوكالة الأوروبية ACQUIN الممنوح للجامعة بأكملها هو مسألة وقت، في حين أن الديناميكيّة الجارية للحصول على اعتماد هيئة الاعتماد الأكاديميّ العالميّ لجامعات غرب الولايات المتحدة الأميركيّة WSCUC تتطلّب جهدًا منّا جميعًا لأنّها مسألة تحوّل ثقافيّ معيّن ولكنّه يضع الجامعة في الاتّجاه الصحيح نحو التدويل، مع الحفاظ على انتمائها إلى النظام الأوروبيّ لاحتساب الأرصدة القابلة للتحويل. يتمّ إنشاء دورات اللّغة الإنجليزيّة بشكلٍ محدّد لاستقبال الطلّاب الراغبين في مواصلة دراستهم في إحدى الجامعات اليسوعيّة.

٥. وفقًا للخطّة التي وضعها المجلس الأعلى ومجلس الجامعة، ومع مراعاة الأزمة الماليّة التي زعزعت بلادنا، **تمّ وضع سياستنا الاقتصاديّة والماليّة في اتّجاه تحقيق الاستقرار الماليّ** من جهة، والمواءمة التدريجيّة للقوّة الشرائيّة مع الوضع السائد في العام ٢٠١٩، من جهةٍ أخرى، علمًا أنّ الموازنة السنويّة تعتمد بشكلٍ أساسيّ على الدخل المتوفّر من التعليم والمساعدات المقدّمة للمِنَح الدراسيّة وتطوير الجامعة. وبهذا المعنى، لا يتعلّق الأمر بأزمةٍ مصنّفة مسبقًا، ما دام قسم كبير من السكّان لا يزال يعاني من تأثير الأزمات المتتالية حتّى يومنا هذا. إنّ المشاريع الكبرى التي يجري إنجازها، مثل مباني كليّة الطبّ، والمستشفى الافتراضيّ، والطاقة الكهروضوئية وغيرها الكثير في جامعة القدّيس يوسف في بيروت ومستشفى «أوتيل ديو دو فرانس»، لم يكن من الممكن تحقيقها من دون مساهمة المانحين الرئيسيّين الذين ينبغي شكرهم على سعة صدورهم ومحبّتهم. وهذا يحثّنا على مضاعفة جهودنا على مستوى مؤسّسة جامعة القدّيس يوسف Fondation USJ لمواصلة تعزيز سياسة جمع التبرّعات من أجل تلبية احتياجات أمّنا المربيّة المستقبليّة التي لا تُعَدّ ولا تُحصى.

٦. لقد استعدّت جامعة القدّيس يوسف في بيروت جيّدًا للمستقبل، **ممّا يعني رغبة عارمة في إزالة عدم اليقين**. وهذا صحيح في ضوء الإنجازات المذكورة أعلاه، ولكن بشكلٍ خاصّ في مجال التحوّل الرقميّ، حيث كانت إحدى الجامعات الرائدة في البلد من حيث تطوير المحتوى، وطرق الانتشار، والمنصّات الرقميّة، وأزمة جائحة «كوفيد» خير شاهد على ذلك. الجامعة مستعدّة لاستئناف الرحلة وللتحدّيات العديدة التي ستواجهها خلال مسارها. وحتّى لو ضاعفت عدد طلّابها في السنة الأولى من الإجازة على مدى السنوات العشر الماضية، فإنّها تظلّ الجامعة «الصغيرة» حيث العلاقات الإنسانيّة الوثيقة ضروريّة وحيث الرعاية المقدّمة لكلّ شخص (Cura Personalis) هو واجبٌ تعليميّ. لقد خدمتنا هذه الروح الجامعيّة ذات البعد الإنسانيّ بشكلٍ جيّد على مرّ السنين. لقد سمحت لجامعة القدّيس يوسف بالبقاء مؤسّسة دافئة وموحَّدة، تتمتّع بقانونٍ أخلاقيّ سليم، وبنزاهة لا تشوبها شائبة، وبإحساس قويّ بالقوّة الأخلاقيّة. يجب الحفاظ على هذه الجودة الرائعة بأيّ ثمن.

٧. لا يسعني إلّا أن أذكر مختلف مشاريع جامعة القدّيس يوسف في بيروت، ناهيك عن التزامها **في مجال الصحّة الذي تميّز باستئناف ملحوظ لأنشطة مستشفى جامعتنا «أوتيل ديو دو فرانس» HDF الذي تأسّس في العام ١٩٢١ من أجل خدمة تنشئة أجيال من كليّة الطبّ وغيرها من المؤسّسات الطبيّة.** ويجب ألّا ننسى أنّ المستشفى مؤسّسة تابعة لجامعة القدّيس يوسف في بيروت وأنّنا جميعًا مسؤولون عن نجاح أداء مهمّتها. لقد شهد المستشفى في السنوات الأخيرة تحديثًا جذريًّا لمعدّاته التي تخدم المريض، ولكنّه شهد أيضًا تعزيزًا لعمله المؤسّسيّ وعلاقاته الإنسانيّة، وهو أمر استراتيجيّ للغاية من أجل تشغيلٍ جيّد لمستشفى بحجم مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» HDF. سيتوجّب علينا هنا أن نوجّه التحيّة لجميع الكوادر الطبيّة والتمريضيّة التي تشارك في أداء هذه المهمّة ونُظهر لهم كلّ الامتنان الذي يستحقّونه. هذا الاهتمام برعاية المرضى، الذي يقترن عادة بالتعليم، وهما ركيزتان مدنيّتان يتمتّع بهما أي وطن، وخاصّة لبناننا، امتدّ إلى مستشفيَي «سان شارل» في الفياضيّة والمونسنيور قرطباوي في أدما، بل وأكثر من ذلك إلى إدارة عدّة مستشفيات في لبنان وبغداد. يجري حاليًّا إنشاء مشروع لكليّة طبّ تابعة لجامعة القدّيس يوسف مفتوحة لأوروبا في قبرص بمساعدة شركاء محليّين. إنّ هذه المبادرات المنجزة، حتّى في الظروف الصعبة، تضع جامعة القدّيس يوسف في بيروت في ديناميكيّة تشغيليّة رئيسيّة في هذا المجال بدعمٍ من مجتمع كامل مصمّم على النجاح.

٨. بالنظر إلى الأفق الذي نريده أكثر إشعاعًا، **فإنّ المهمّة الأكاديميّة للبحث العلميّ** ليست فقط مسألة ميزانيّة وهي واحدة من أكبر ميزانيّات الجامعات في البلاد، ولكنّها أيضًا وعي داخليّ جماعيّ على مستوى كلّ مؤسّسة وهو أيضًا وعيُ فرديّ من أجل أن نمنح أنفسنا الوقت والطاقة للإنتاج والنشر وهذا ما نحن قادرون عليه. إنّ نشر الأبحاث في مجلّات مفهرسة ذات قدرة تنافسيّة عالية، بالإضافة إلى إعادة تنشيط الدور العلميّ لمستشفى «أوتيل ديو دو فرانس» HDF ، هي واجبات يمكن أن تلبّي توقّعاتنا بسرعة من أجل تحسين واستئناف وجودنا كجامعة تهتمّ بالأبحاث على المستويَين الوطنيّ والدوليّ. يُعَدّ هذا مطلبًا رئيسيًّا يتعيّن علينا الوفاء به حتّى تتوافق بصمتنا مع طموحنا، وأهدافنا البحثيّة وملفّنا الموجَّه نحو برامج الدراسات العليا. وبموازاة هذا الأمر، سيتوجّب علينا تحسين وضعنا الإقليميّ بشكلٍ كبير من خلال تصنيفنا بين أفضل الجامعات، من خلال تزويدنا بشبكةٍ قويّة من الشراكات والتحالفات، ونأمل أن يكون لدينا وجود فعليّ في المنطقة.

وفي الختام، فإنّ المهمّة لن تكون سهلة، نظرًا لاشتداد المنافسة، وازدحام الساحة، ونقص الموارد ومستوى الدعم الممنوح لبعض الجامعات الوطنيّة والإقليميّة التي لا تستفيد منها جامعة القدّيس يوسف في بيروت. وستكون هناك حاجة إلى خطّة دقيقة بمشاركة نشطة من جميع الأطراف المعنيّة في الجامعة على جميع مستويات صنع القرار. الوقت هو عاملٌ أساسيّ في عالمٍ يتطوّر بسرعة ونعيش فيه، وليس أمامنا سوى بضع سنوات لتحقيق هذا الهدف.

١٥٠ عامًا هو عمرنا في هذه السنة، سنة ٢٠٢٥. إذا كان بإمكاني تلخيص وجهة نظري للماضي وحتّى أيّامنا هذه، أودّ أن أقول إنّ تاريخنا هو تاريخ كفاح، بل ونضال، لمواصلة مهمّة التعليم والتنشئة؛ مواردنا البشريّة، وهذا الصفّ الطويل من المعلّمين والإداريّين، واليسوعيّين والعلمانيّين، والرجال والنساء، والطلّاب وقدامى الخرّيجين، لا يتوانون أبدًا عن تأدية دور رئيسيّ في هذه المغامرة المثيرة من أجل بناء بلدنا وإعادة بنائه، وكذلك بناء رجال ونساء الغد.

أختتم كلامي بفكرة لأحد الخرّيجين قالها بشأن جامعته: «جامعة القدّيس يوسف هي جامعة عرفت كيف تطوّر تراثًا كاملًا من قيم العدالة والإنسانيّة، والتميّز الأكاديميّ وروح النضال من أجل الصالح العامّ. لا تتخلّوا عن هذا التراث، بل عزّزوه بنظرةٍ واضحة المعالم نحو وعود المستقبل. لذلك يتسنّى لأيّ شخص يعمل أو يدرس في جامعة القدّيس يوسف أن يقول إنّه من جامعة القدّيس يوسف، فمن خلال روح الانتماء يتمّ تحقيق كلّ نجاح».

بدافعٍ من الشغف وحبّ الرفاهيّة والعمل الجيّد، عرفت أجيالنا النجاح في خدمة تقدّم الإنسان. سنمضي قُدُمًا مزوَّدين بالشغف.

البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ
رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت